

## العولة : حوارات من أجل أرض قابلة للسكنى

### مقدمة الترجمة العربية

عندما التقيت لأول مرة السيد ريمون صفير، في أوائل التسعينات من القرن الماضي، في مدينة ليون، بصحبة أحد الأصدقاء المشتركين: الأب ميشال رمونتيه مرشد حركة

”مقاولون ومدراء مسيحيون“، لم يخطر ببالي أن طرفنا ستعود يوماً لتتقاطع، وأن العناية الإلهية ستدعونا يوماً إلى العمل معا على إطلاق تلك الحركة في لبنان.

ولما التقيته ثانية منذ حوالي سنة، وأطلعني على ما ينوي القيام به في لبنان، على الصعيد المهني والالتزام المسيحي، وتتمير خبرته الطويلة في سبيل تطعيم عالم الأعمال عندنا بروح الإنجيل... لم أتمكن من مقاومة ما لمسته لديه من قناعات ثابتة، وإرادة صلبة، وديناميكية متقدة، وتصميم أكيد. وقرأت في عودته إلى لبنان بعد طول غياب، علامة من علامات الأزمنة التي تدل على حيوية الكنيسة عندنا، وضخامة التحديات التي تنتظرها.

وكلمني عن الإختبار الرائع الذي قام به عدد كبير من المنظمات المسيحية الأوروبية العاملة في الحقول الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، بإنشاء مجموعة سميت ”المنتديات المسيحية حول العولة“ التي قادت عمل تفكير وحوار، دام خمس سنوات، لبلورة نظرة مسيحية إلى العولة. وقد جمعت ثمار هذه الحوارات في كتاب أبيض بعنوان ”حوارات من أجل أرض قابلة للسكنى“ (Dialogues pour une terre habitable).

وعبر عن رغبته في ترجمة هذا النص إلى اللغة العربية ليوضع بتصريف قرائها من رجال فكر وأعمال، ومن أبناء الكنيسة الملتزمين العمل على بناء المجتمع على أسس صحيحة ومتينة.

قرأت النص بنهم وشوق، وأعجبت بما يكتنزه من عمق تفكير، ووسع آفاق، وغزارة تجارب حية. وبدا لي أن ترجمته إلى العربية ستكون عملاً مفيداً

جدا. فالعولمة هي موضوع الساعة والتحدي الكبير أمام الكنيسة والمجتمع. ولا أعرف كتابات كثيرة باللغة العربية تعالج موضوع العولمة أو تقاربه من وجهة نظر مسيحية. ولما كنت أعمل منذ خمس عشرة سنة مع عدد من الأصدقاء والإخصائيين، ضمن مجموعة أطلقت على نفسها اسم "حركة عدالة ومحبة"، على التعمق بتعليم الكنيسة الاجتماعي، وعلى نشره من خلال ترجمة وثائقه الأساسية والتعريف بها بطرق شتى، وجدت في هذا النص إطلالة مسيحية مبتكرة على أهم قضية تواجهها الكنيسة والبشرية اليوم، فزادت قناعتني بأهمية هذا النص وبضرورة نقله إلى اللغة العربية.

### أما كيف تمت عملية الترجمة، فهناك قصتها:

لما كانت "حركة عدالة ومحبة" منهمكة منذ أكثر من سنة، وما زالت، بترجمة "خلاصة عقيدة الكنيسة الاجتماعية"

وهو كتاب ضخم يتعدى عدد صفحاته الخمس مئة، كان لا بد من التفتيش خارج صفوفها عن يمكنه القيام بهذه المهمة. فوقع الخيار على الصديق الأستاذ أمين زيدان، الكاتب والشاعر وصاحب الخبرة الطويلة في تدريس اللغتين العربية والفرنسية والترجمة من وإلى كليهما، فعهدت إليه بهذا العمل الدقيق.

#### (Compendium de la Doctrine Sociale de L'Eglise)

كان النص الأولي الذي انكب الأستاذ زيدان على ترجمته لا يبلغ عدد صفحاته السبعين، وهو يقسم إلى قسمين:

- القسم الأول، وهو ذو طابع نظري، يعطي نظرة مسيحية إلى العولمة.
- القسم الثاني، يأخذ منحى تطبيقيا، فيحدد بعض المواقع ويعطي حولها عددا من الاقتراحات العملية. وهو يدور حول أربعة محاور:
- المحور الأول وعنوانه: ترقق إنساني في سبيل مستقبل مستدام.
- المحور الثاني: هجرات وثقافة.
- المحور الثالث: الشروط الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية لإنتاج الثروات.
- المحور الرابع: الحوكمة وبناء السلام.

وبعد أن أنهى الأستاذ زيدان الترجمة وابتدأت أنا بمراجعتها، فاجأنا السيد ريمون صفير بنص جديد من مئة وأربع صفحات، ينطوي على النص الأول وقد أدخلت عليه عدة تعديلات هامة، وأضيف إليه مدخل ومقدمة وفصل جديد حول

اللقاء الذي عقد في مدينة ليل بتاريخ الخامس عشر من كانون الثاني ٢٠٠٦ ،  
ويحتوي على التوجهات التي أقرها هذا اللقاء ، ومداخلات معظم المشاركين فيه .  
فكان لا بد من إعادة الترجمة ، فانكب عليها الأستاذ زيدان مجدداً . وعهد بمراجعة  
النص المترجم إلى الدكتور ميشال عواد ، أستاذ العلوم الإجتماعية ونائب رئيس  
”حركة عدالة ومحبة“ .

وهنا يطيب لي أن أوجه كلمة شكر خاصة للأستاذين زيدان وعواد على  
العمل الشاق الذي قاما به . ذلك أنهما كانا أمام نص مكثف وصعب ، تكثرت فيه  
التعابير المركبة والمفاهيم الجديدة المعقدة ، ولغتنا العربية تفتقر إلى الكثير من  
المفردات والتعابير التي يمكنها أن تغطي المفاهيم الجديدة بالدقة المطلوبة ، وأن  
تكون سهلة الفهم من قبل القارئ غير المختص . فيضطر المترجم أن يلجأ إلى  
صياغة تعابير جديدة واشتقاق كلمات غير مألوفة بحملها المفاهيم العصرية  
والمتنكرة .

وها نحن نفخر بأن نقدم لكم هذا الكتاب ، أملين أن يكون محطة تفكير  
ومنطلق حوار بين المهتمين بالعوامة من رجال فكر وثقافة ، وعمل ، ومسؤولية في  
أي مستوى من مستويات الحياة البشرية . ذلك أن العوامة ليست مجرد موضحة  
عابرة قد ينتهي مفعولها بعد وقت معين . إنها حقيقة كبرى وواقع لا مفر منه في  
مسار تطور العالم المعاصر ، ولا تستطيع الكنيسة إلا أن تأخذها بعين الاعتبار .  
أمام هذا المسار الجارف المدعو العوامة ، الذي يحمل إيجابيات وأمالاً كثيرة ،  
ويثير مخاوف جمة ، تدعو الكنيسة أبناءها إلى تسليط أنوار الإنجيل على كل ما  
يجري ، وإلى المشاركة الفعالة في بناء هذا العالم الجديد . وهي تذكر بالمبدأ الأساسي  
الذي تدور حوله كل عقيدة الكنيسة الاجتماعية ، ألا وهو ضرورة الدفاع عن  
كرامة الإنسان وحقوقه ، لأن الإنسان هو العامل الأساسي ، ونقطة الارتكاز ،  
والغاية القصوى لكل الأنظمة والمؤسسات والنشاطات الإقتصادية والسياسية  
والتربوية والدينية . . . ذلك أن هذا الإنسان قد خلقه الله على صورته ومثاله ،  
وأوكل إليه أن ”ينمو ويكثر ويملا الأرض ويتسلط عليها“ (را . تك . ١ : ٢٧-٢٨ )

وما عملية العوامة منذ نشأتها إلا نتيجة محاولات الإنسان كي يسيطر على  
الأرض ويستثمرها ، ويستعمل ما منحه الله من عقل وإرادة حرة ومواهب  
متنوعة ، حتى يكشف أسرار الكون وخبراته . وقد يسيء استعمال مواهبه أو  
اكتشافاته ، فتأتي نتائج أعماله وبالا عليه وعلى أمثاله ، وعلى الكون نفسه .  
أليس هذا بعض ما نراه من مخاطر العوامة إن لم تنقيد بضوابط وقوانين

ومبادئ أخلاقية، وإن لم تضع في طليعة أهدافها الحفاظ على كرامة الإنسان وحقوقه؟ فالعولمة التي تمارس حتى اليوم بحسب مبادئ الليبرالية المتفلتة، قد خلفت فروقات شاسعة بين الشعوب، ودمارا كبيرا في بعض الدول، ونزاعات مريرة بين المصالح، وحرمان قسم كبير من البشرية من أبسط حقوقه، وتلوثا يشوه الطبيعة ويهدد الكوكب الأرضي بالزوال. لذا فالكنيسة لم تتوان يوما عن التحذير والتنبيه، والدعوة إلى التقيد بالنظام الأخلاقي، واحترام الحقوق والواجبات المتبادلة. فالابا الطوباوي يوحنا الثالث والعشرون يذكر في رسالته "السلام على الأرض" أن "الدول ملزمة بتنظيم علاقاتها، التي لا بد منها، وفق مبادئ الحقيقة، والعدالة، والتضامن الطوعي، والحرية". (٨٠)

أما البابا يوحنا بولس الثاني فيشدد على ضرورة التضامن بين الأفراد والجماعات، وبين الدول، إذا شئنا أن نتحاشى الصراعات، وأن نبني السلام بين الشعوب: "إن الترابط يجب أن يتحول إلى تضامن مبني على مبدأ مشاعية الخيرات. التضامن يساعدنا على ألا نعتبر الآخر؟ فردا كان أم شعبا أم أمة؟ مجرد أداة تستغل قدرتها على العمل... ثم تهمل جانبا عندما لا تعود صالحة للخدمة، بل أن نعتبره شبيها لنا... وعونا يجب إشراكه بالتساوي معنا، في وليمة الحياة التي يدعو إليها الله كل البشر بدون تمييز". (الإهتمام بالشأن الاجتماعي عدد ٣٩). و يضيف البابا "إن التضامن الذي نطرحه هو طريق السلام وطريق النمو والتقدم في آن واحد". ويرى البابا أيضا في التضامن طريقا إلى الشركة التي تطرحها الكنيسة كنموذج جديد لوحدة البشرية. (40) (communion)

وهكذا يمكننا أن نستنتج أن الكنيسة في تعليمها الاجتماعي تدعو إلى أن يقوم ، بوجه العولمة الإقتصادية والثقافية والسياسية ، نوع من "عولمة التضامن" التي تشجع المساواة بين الشعوب، وتبعد الصراعات، وتبني السلام. إلى مثل هذه العولمة يدعو أيضا هذا الكتاب ، المشبع من عقيدة الكنيسة الإجتماعية، والمختمر بتفكير مئات رجال الأعمال والمدراء المسيحيين واختباراتهم الحياتية مدى عشرات السنين. وإذ نشكر جميع الذين سكبوا عصارة تفكيرهم وحياتهم في هذا الكتاب، نتمنى أن يكون مثلهم حافزا لنا ولؤسساننا الإقتصادية والإجتماعية والسياسية على المشاركة في بناء مجتمعاتنا على المبادئ والقيم السليمة.

المطران سمير مظلوم  
نائب بطريركي

بكركي في ٤ أيار ٢٠٠٧

